ساحة للصراع، وما زال كذلك» (ص ٤٨١).

كما أوجزت الخاتمة، اجاباتها حول ما طرحته من تساؤلات رئيسة ثلاثة في مقدمة الكتاب، وهي فلسطين لمن؟ من شعبها؟ وما قضيتها؟ فأرجعت أصول الفلسطينيين الحضارية الى آلاف السنين «الى العهد الذي اشتهرت فيه اريحا ويبوس وكريات أربع وأشدود وعكو وياقي وغزة، وسواها، بصفتها مدناً كنعانية مزدهرة. ثم الى القبائل العربية؛ العمالقة، والمديانيين، والاسماعيليين، والمعنيين، وقيدار. وإلى الانباط والغساسنة والى لخم واليمن والحجاز والفتح الاسلامي وأبطاله، والى قبائل المغرب العربي» (ص ٤٨٨). وتأسيساً عليه، أكدت الكاتبة، ان فلسطين هي جزء من كل «أي جزء من دولة كبرى أو وطن أكبر». أمّا قضيتها، فترجع الباحثة ولادة القضية قانونياً الى العام ١٩١٧. «بعدما تنكّرت بريطانيا لشعب فلسطين في وعد بلفور، فلم تذكره بالاسم، وسلبته حقوقه، وكذلك فعلت الشيء نفسه في صك الانتداب. وطوال عهد الانتداب البريطاني، كانت القضية الفلسطينية، قضية نضال لتحرير فلسطين، واستعادتها وطناً عربياً سيداً، واقامة حكم وطني ديمقراطي على أرضها» (ص ٤٨٩).

المنهج

على الرغم من بروز المنهج التخصصي في الدراسات التاريخية الفلسطينية، الّا ان ظهور الدراسات الموسوعية لازال ينمو ويتطوّر. وفي هذا السياق، يبرز ما قام به اتحاد الجامعات العربية، بنشر الجزء الاول من كتاب «القضية الفلسطينية والصراع العربي ـ الصهيوني» العام ١٩٨٣، وضمّ هذا الكتاب مجموعة من المقالات الهامة لمؤرخين وكتّاب بارزين، باشراف د. وليد الخالدي، وفي العام ١٩٨٩، قام اتحاد الجامعات بنشر الجزء الثاني، وكان باشراف د. عبدالعزيز الدوري.

وفي العام ١٩٩٠، صدر القسم الثاني من الموسوعة الفلسطينية باشراف د. أنيس صايغ، وساهم فيها أربعة وستون باحثاً، وتوزّعت موادها بين الدراسات الجغرافية والاقتصادية والتاريخية والحضارية. كما ويمكن اعتبار ما قام به المؤرخ مصطفى مراد السائح، في سلسلة «بلادنا فلسطين» بأجزائها العشرة، جزءاً من النهج الموسوعي ذاته.

ولعل بالامكان اعتبار كتاب الباحثة، بوصفه جزءاً أول سيليه ثاني عن فلسطين ونضال شعبها ضد الانتداب والصهيونية، وثالث عن فلسطين ونضال شعبها من مرحلة الشتات الى قيام م.ت.ف. في سياق التوجه الموسوعي ذاته، مع اختلاف في المنهج؛ اذ ان الباحثة لم تلجأ الى الاسلوب السردي وفقاً لتسلسل الاحداث التاريخية فحسب، بل انها لجأت الى المنهج الشامل والمتخصص في آن. والجديد في الكتاب انه لم ينشر ما لم ينشر بعد، وإنما أحاط بالاجزاء المتأثرة في تاريخ فلسطين وشعبها، وهو ما أطلقت عليه الباحثة، وبشيء من الجرأة، إسم «الفلسطينو لوجيا».

وعلى الرغم من ان رفع راية «الفلسطينو لوجيا»، يحمل في ثناياه الكثير من الجرأة العلمية، فقد تمكّنت الباحثة من ان ترسم هيكلية ملائمة لمنهج البحث الذي اتبعته، يتوافق مع الاسلوب والغاية. وعلى الرغم من الصعوبات الاولية المتعلّقة بالمصادر والاقتباسات، فقد تمكّنت الباحثة، ورغماً عن وفرة المصادر وتعدّد ألوانها في المجال التاريخي الفلسطيني، من ان تمحصها، وتفرز الغث من السمين، خدمة للوصول الى الحقيقة، وقد جاءت بعض الاقتباسات طويلة؛ الامر الذي يمكن ان نعزوه الى طبيعة البحث.

من خلال ذلك، تمكّنت الكاتبة، تجنّب الضياع في الجزئيات، رغم تشعب الموضوع وطول فترته الزمنية، وحرصت على الاقتراب، بشكل دائم، من الكليات. وبذلك، يمكن القول، وبشيء من الارتياح، من ان كتاب بيان نويهض الحوت، يشكّل، وبحق، الخطوة الاولى في طريق ما أطلقت عليه «الفلسطينو لوجيا»، وهو علم، دون أي شك، متشعب، وشائك وطويل.

سميح شبيب